مجلة المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

المجلد الثالث ــ المجلد الواحد والستون

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

آراء عبد القاهر الجرجاني (٤٧١أو٤٧٤هـ)
النحوية ومعالجاته فيها

م.م. سعد جمعة صالح
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

المنخص :

ركز الباحثون والنقاد المعاصرون على إظهار نظرية النظم من خلال قراءة جهود عبد القاهر بصفتها أسسا نقدية وبلاغية ، إلا أنَّ وبحسب معطيات كتابيه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز) هنالك قيم معرفية ترتبط بهذه النظرية أقصد في هذا المقام (النحو) وما رافقته من تحولات ، انعكست إيجابا على الساحة الأدبية والنقدية من خلال التعويل على الوظيفة الإبلاغية للغة عن طريق ربط البلاغة بالنحو ، كما يكشف البحث عن الدور المهم الذي يشغله علم النحو في القضاء على ثنائية التفريق بين اللفظ ومعناه ؛ وذلك عن طريق اعتماد مستوى التركيب (الجملة) في التمييز بين نص وآخر .

المدخـل :

تتـاول النقـاد المعاصـرون آراء عبـد القـاهر فـي النحـو العربـي علـى أنهـا طريقة جديدة في التعامل تجاور من خلالها النظرة المنطقية له أي المعادلة التي تحصره في باب تصويب الخطأ الموجود في الكلام من خلال الحركات الإعرابية ، إلى النظرة الوظيفية "النظمية" للنحو ، بمعنى أنه أصبح مجموعة من العلاقات تحدث بين الكلمات فتجعل منها نصا يحقق معنى كليا يؤخذ من مجموع هذه المفردات مجتمعة لا بالنظر إلى معنى كل مفردة على حد سواء ، ونظر الدكتور محمد عبد المطلب إلى جهوده النحوية من منطلق أنّه ((لم ينفصل قط عن المناخ الذي سبقه ، أو الذي زامنه ولم يستطع – كذلك – أن يتخلص من تأثيرات هذا المناخ الذي سبقه ، أو الذي زامنه))[1].

وفـي هـذا الصـدد يـرى البـاحـث أحمـد الجـوة أن عبـد القـاهر قـد امتـدّ ((فضله على النحو فمرده إلى دفاعه عنه وعدّه علما ضروريا لا ضربا من التكلف وبابا من التعسف فلقد خصص الجرجاني في بداية "دلائل الإعجاز" حيزا دافع فيه عن النحو وجعل معرفته لازمة لمعرفة كتاب الله وأدراك إعجازه ، والزهد فيه "أشبه بأن يكون صدى عن كتاب الله وعن معرفة معانيه"))[2] انطلاقا من هذه الأهمية جاءت نحوتات عبد القاهر في التراث

---

[1] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني : ٥٢.

[2] معاني النحو ومعاني البلاغة في كتب عبد القاهر الجرجاني(بحث) : احمد الجوة : ضمن وقائع ندوة عبد القاهر الجرجاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية : جامعة صفاقس ، تونس ، ١٩٩٨م : ٥٠.

النحوي العربي ، إذ هو الأداة التي تكشف من خلالها سمو القرآن الكريم وإعجازه .

وفضلا عن ذلك فإنَّ تصوير عبد القاهر ، وتهكمه على ما جرى في الموضوعات النقدية من خلل وبعد الصواب عن طريقته المثلى في المعالجة كان من بين أولوياته في هذا المقام ما ذهب إليه من رد بعض الدعوات الفاسدة على حد تعبيره ، إذ إنَّه هاجم الدعوة إلى إهمال الشعر والانصراف عن علم النحو ، ولاسيما أنَّ دراساته ترعرعت تحت راية القرآن والبحث في إعجازه إذ سمى عبد القاهر كتابه (دلائل الإعجاز) وبين فيه أن تأكيد الوظيفة الإبلاغية للغة عن طريق ربط البلاغة بالنحو هو السبيل إلى كشف أسرار دلالات الإعجاز القراني وتقديم الأدلة عليه ، ومن جانب آخر اشتمل كتابه هدا على دراسة تفصيلية للعلاقة بين اللفظ والمعنى في مستوى التركيب (الجملة) فكان بذلك بداية مرحلة جديدة في تاريخ علوم العربية هي مرحلة تأكيد الوظيفة الإبلاغية للغة عن طريق ربط البلاغة بالنحو[٣].

ومن جانب آخر ((كان لمنهجه النحوي أثر عظيم في وضوح ملامح نظرية النظم عنده ، وتعدّ هذه النظرية فلسفة اللغة العربية والمنهج النقدي السديد))[٤] ، والبحث يتقصى عمق هذه التجاذبات من خلال الطروحات المعاصرة وقراءاتها التأويلية على وفق التصور الآتي :

---

[٣] ينظر : نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية (النحوية البلاغية) والبنيوية الوظيفية في النقد الأدبي :٢٠٢-٢٠٣

[٤] بحوث بلاغية : الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٧م : ٩٠.

أولا / النحو ليس قواعد جامدة :

اتفق جمع من الباحثين والدارسين المعاصرين على ما ذهب إليه عبد القاهر في رفضه معيرة النحو ذلك أنَّ ((النحو ليس مجموعة من القواعد الجامدة))[٥] وحدودها لا تقف عند حدود ما ((لا يعتد بمجرد الصواب اللغوي ، لا لأن هذا الصواب من شأنه أن لا يعتد ولكن لأنه غير ذي قيمة فنية أدبية))[٦] ، وبهذا نجدهم قد حصروا المعيارية بالاعتداد بالصواب والخطأ ، وبنظرته هذه يكون قد ابتعد عن ((تفكير النحاة العرب المعياريين))[٧] ، وفي هذا القول اعتراف ضمني بأن النحاة القدماء كما أسلفنا في المبحث الأول كانوا يعتدون بمستويين من النحو.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ رفض عبد القاهر جعل قواعد الصواب والخطأ النحوية مقياسا لجودة النصوص الأدبية ، وجعله الأساس بدلا من المستوى النحوي الوظيفي الذي ما زال يردده ويؤكده حتى أوهم بعض الباحثين المعاصرين ((أنَّ النحو عند عبد القاهر نحوان : نحو وظيفته خدمة اللغة والتعبير عن مقاصد المتكلمين وغايته أن يمكنهم من انتحاء سمت الكلام كما رسمه الوضع والاصطلاح وأن يعصمهم من الخطأ واللحن وزيغ الإعراب ،

---

[٥] المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية : ٢٤١. وينظر : معاني النحو ومعاني البلاغة في كتب عبد القاهر الجرجاني(بحث) : ٥٠. وينظر : قضايا الحداثة عند عبد القاهر :٥١.

[٦] النحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني(بحث) : ١٩ .

[٧] النحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني(بحث) :١٩ ، وينظر : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني : ٥١.

ونحو وظيفته خدمة اللغة الفنية الأدبية والقيام بحق المبدعين من أصحاب اللغة))[٨].

وكان رفض عبد القاهر مَعيَرَة النحو لسببين هما[٩] :

١- إنه لم ينكر فضل النحو المعياري لأنه يتحرّز به من الخطأ إلى الصواب .

٢- إخضاع الفنون البلاغية لسلطة هذا النحو المعياري .

وهذان السببان في نظر عبد القاهر بعيدان كل البعد عن الوظيفة الرئيسة للنحو ، انطلاقا من هذا النظرة التي تبنى على أساسها فكرة رفض إقحام النحو المعياري في الميدان ؛ ((لأن هذا النحو قاصر بطبيعته عن أن يحقق شرائط المزية والفضل))[١٠]. في النص الإبداعي وينهض بها أساسا جماليا ليؤكد أن ذلك لم يكن اعتباطيا بل جاء نتيجة ، هذا الفهم الخاطئ لطبيعة النحو هو الأساس الفاسد الذي بُني عليه التفكير المنطقي المجرد ذلك أنَّ هذا النوع من التوجه لا يلتفت إلى ما يحمله النحو من معانٍ ، هي جوهر الإحساس والفكر ، وكان بحملته على التصور السائد في عصره للنحو والبلاغة ، يبغي الوصول إلى فهم صحيح لهما [١١].

وقد كانت نظرة عبد القاهر الإبداعية مصوبة في هدف التفرد مما يعني أنه من المعارف التي يشترك جميع الناس في معرفتها وهي لا تشكل جمالا

---

[٨] النحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني(بحث) : ٢٠

[٩] ينظر : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني : ٥١.

[١٠] النحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني(بحث) : ١٩.

[١١] ينظر : الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا : ٢٨

يعتد به بذاتها ، ومن ذلك انطلق في رفضه القواعد المعيارية بوصفها أساسا للإبداع إذ ((لو كان الأمر كذلك لتساوى في الفصاحة كل من يتقن العربية ويجيد استخدام قواعدها النحوية ، وعبد القاهر أول من أدرك ذلك وسط حماسه الشديد للنحو ودفاعه عنه. وكانت هذه في الواقع أولى النقاط التي نبه إليها في مقدمته لدلائل الإعجاز حيث نبه إلى أنّ التمكن من علم النحو وحده لا يصنع الفصاحة ، وأنّ النحو وحيدا لا يفسر إعجاز لغة القرآن[١٢].

وقد ذهب الدكتور عبد العزيز حمودة إلى أنّ نظرة عبد القاهر الجديدة قد عدلت من مسار النحو ، ((في مواجهة الهجوم الذي سبق [...] ضد النحو العربي باعتباره قيدا جامدا على الإبداع ردّ ، الجرجاني للنحو اعتباره ، مؤكدا أنه ليس قيدا)) وإذا كان النحو ليس قيدا يقيد الكلام فما هي وظيفته ، إذ عمله ينصب بالدرجة الأساسية على تحرير المعنى ((إذ قد علم أنّ الألفاظ [...] في الحقائق نفسه))[١٣] وكأن الألفاظ التي لا تعني مفردة شيئا في حالة لا معنى ، تمكن عن طريق النحو من كشف مكنون كنوزها. إنّ النحو بهذا المعنى ليس قيدا على الكلمة لأنه هو الذي يفك إسارها من سجن اللامعنى))[١٤].

---

[١٢] المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية : ٢٤١.

[١٣] المصدر نفسه : ٢٤١

[١٤] دلائل الإعجاز : ٢٣-٢٤

ثانيا / النظرة التوسعية للنحو عند عبد القاهر :

انطلقت الدراسات المعاصرة من فكرة عدم الشك ، في أن عبد القاهر كشف عن مفهوم جديد في النحو ، إذ كانت النظرة السائدة للنحو قبله قائمة على أنَّ مهمة النحو مقصورة على صحة التركيب وسلامتها من الخطأ[١٥].

وقد ذكر البحث في المبحث السابق من هذا الفصل أن الأساس الأول للنحو العربي قد حوى مستوى ثانيا يضاف إلى المستوى النحوي الأول ، وإذا كانت هذه هي آراء عبد القاهر المتمثلة بنظرته الحادة لتوجه إعطاء النحو المعياري مكانة أكبر من طاقاته التي أسس من أجلها يذهب إلى أنَّ نظرته إلى النحو تستوجب منه أن يحقق شروطا ثلاثة إذ الذي يريده من النحو[١٦]:-

الشرط الأول: أن يحقق صنعة في الكلام ، ومعنى ذلك أن يكون فيما صنعت على وفق هذا النحو ما يتسم بالخصوصية والتميز والتفرد.

الشرط الثاني: أن يكون اختيار الكلمات أساسا تبنى عليه البنى النحوية ، إذ الاختيار كلمة تؤذن أنه يتوفر لك غير وجه من وجوه القول، وغير طريقة من طرائق الاستعمال.

الشرط الثالث: أن تكون قد استدركت صوابا ، وأن تستدركه معناه أن غيرك قد غفل عنه ولم ينتبه إليه. وهذا الصواب المستدرك غير الصواب النحوي الذي هو نقيض الخطأ فهذا الصواب لا يعتد به في ميدان الفن والأدب ، وقد أشار عبد القاهر إلى ذلك بقوله : فإن قلت :

---

[١٥] ينظر : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث : ٢٤٠.

[١٦] ينظر : النحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني (بحث) : ١٩.

أفليس هو كلاما قد اطرد على الصواب وسلم من العيب ؟ أفما يكون في كثرة الصواب فضيلة ؟))[١٧].

وفضلا عن ذلك هنالك عنصر آخر من عناصر التعامل النحوي في أدبيات نحو العلاقات إذ من شروطه ((هو اعتبار حال المنظوم بعضه مع بعض؛ أي ملاحظة ما يجب أن يكون عليه الترتيب بين الكلمات ، والذي يتم بمراعاة جوانب ثلاثة ، وهي وفقا للمفهوم الحديث: الاختيار – والموقعية – والمطابقة . ويأتي الإعراب نتيجة وتابعا لها على رأي عبد القاهر))[١٨].

وقد توسعت نظرة عبد القاهر إلى النحو التي تجاوز بها سابقيه فهو ((ليس نحويا بالصفة الخالصة التي يصير بها مقعدا لمسائل النحو ، منظرا لقضاياه))[١٩] وهو ينظر للنحو على أن له علاقة ((بالمعنى لان المعنى من شؤون الدلالة))[٢٠] كما أنه ينظر إليه على انه علم يتجاوز المعيار ((إلى لطيف التراكيب ودقيق الاستعمالات دون خروج عن أحكام النحو وقوانينه))[٢١].

وفي إشارة إلى أنّ هدف عبد القاهر كان ينصب بالدرجة الأساسية على تطوير النحو فهو لا((لم يهدف حقيقة إلى تخليص النحو مما علق به ، وإنما تحدث عن طريق جديد للبحث النحوي تجاوز فيه أواخر الكلم ،

---

[١٧] ينظر : دلائل الإعجاز :

[١٨] عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتنّ في العربية ونحوها :١٦٠-١٦١.

[١٩] معاني النحو ومعاني البلاغة في ضوء عبد القاهر الجرجاني(بحث) : ٥٠

[٢٠] المصدر نفسه : ٥٠

[٢١] المصدر نفسه : ٥٠

وعلامات الإعراب ، وبينّ أنَّ للكلام نظما ، وأنَّ رعاية هذا النظم وإتباع قوانينه هو السبيل إلى الإبانة ، والإفهام ، وأنه إذا عدل بالكلام عن سنن هذا النظم لم يكن مفهوما معناه ولا دالا على ما يراد منه))[٢٢] في حين نجد أنَّ نسبة غير قليلة من تعاملاته كانت تهدف إلى الرد على الانحراف الذي اعتلى مسار النحو عند من سبقه من رواده كانت تشكل رفضا لما علق به من رواسب النظرة المنطقية لذلك أراد تنقيته مما علق به أولا ومن ثم سارت معالجاته على نحو جعل منها أقرب إلى النظرة التطويرية للنحو.

ثالثا/ استثمار الإمكانات النحوية :

لم يكن استثمار الإمكانات النحوية وطاقتها الإبداعية دربا قد اعتادته الدراسات النقدية قبل عبد القاهر ، وهذا لا ينفي في أحسن الأحوال استثمارها إياه في معاملاتهم اللغوية ، لكن ما يؤخذ عليها ضياع التنظير تحت إطار شامل يجمع تنافرها في كتب قد تكون ليست ذات صلة مباشرة بالدراسات اللغوية من مثل كتب التفسير والقراءات لكنها قد شُغلَت مفاتيح فهم كثير من بياناتها المعرفية ، الأمر الذي أدى الى إغفالها في القرن الرابع والخامس الهجريين.

وبسبب من هذه وذاك يضاف إليها غلبة التأليف فيما أطلق عليه من تسمية (النحو المعياري) يضاف إليه المنظومات النحوية الكثيرة في هذا الإطار ، كانت هذه الفجوة تشغل مساحة كبيرة في حياة النقد والبلاغة لا ريب في أنها من معطيات إثبات إعجاز القرآن النقطة الفاصلة بين متجاورات كثيرة.

---

[٢٢] معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني : ٩٠.

استجمع عبد القاهر هذه الخيوط ودفع بحركتها تنظيرا وتطبيقا ، فلم يدخر أي جهد لتوسيعها وتبويبها ، لأنها عماد فكرته "النظمية إذ هو يمثل ((محور المشهد الأخير من سلسلة الجهود السابقة عليه في دائرة النقد ، أو دائرة النحو والبلاغة كما يمثل كمال الإفادة من هذه الدوائر الثلاث في بلورة مفهوم (نحو نقدي) قاده إلى تكوين نظرية مكتملة في فهم الخطاب الأدبي بالتركيز على صياغته))[٢٢] ، والمقصود بالنحو النقدي هو استثمار الإمكانات النحوية بوصفها أداة نقدية في قراءة النصوص الأدبية؛ وكان رصد المعاصرين هذه الإمكانات النحوية ينطلق في اتجاهين أحدهما : التعريف بهذه الإمكانات النحوية ، والاتجاه الآخر: رصد مساحة اشتغال الإمكانات النحوية على وفق التصور الآتي:

الاتجاه الأول / حدود الإمكانات النحوية :

انطلق المعاصرون في تحديد هذه الإمكانات النحوية من آراء عبد القاهر التنظيرية والتطبيقية ، وكانت هذه الأسس هي منطلقات النظرية النظمية عنده إذ استخدم ((وجوه النحو وفروقه المختلفة كقاعدة ينطلق منها الى تتبع صور التراكيب وتلمس الأغراض التي توحي بها حين تتغير من صورة الى أخرى ، ولولا ذلك لاضطرب عليه الأمر ولم يجد سبيلا الى ضبطه))[٢٤].

---

[٢٣] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني :٥١-٥٢. وينظر : عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في العربية ونحوها :١٠٩.

[٢٤] نظرية العلاقات أو النظم بين عبد القاهر والنقد الغربي الحديث : ٥٨.

إذ بتعديل التركيب يتغير المعنى وتتبدل صورة بنيته النحوية ، والاختيار من الوجوه والفروق لا يسري اعتباطا بل يخضع لقواعد تركيبة تحكم بناءه النحوي من الانزلاق في متاهات النظم الفاسد ((إذ الحقيقة الواضحة في الموضوع أنَّ كل تغيير في صورة التراكيب لابد أن يجيزه النحو أولا من حيث الصحة والسلامة الإعرابية وإلا انقلب التركيب الى حال من الفساد والتعقيد الذي يختفي معه وجه المعنى))[٢٥].

وهذا يعني أن العملية التأليفية محكومة بأسس تمنح حرية الانتقاء من الأبواب وتفرض في سلطة الاستخدام الأمثل لها بما يناسب البنى النحوية ومعانيها؛ ((فليس الناظم حرا في التصرف في التراكيب إلا حيث يمنحه النحو هذه الحرية فهو يتوخى أغراضه في نطاقها ، ويفتن في نظمه على هدى منها ، ثم تجئ الناقد ليسأله كيف استخدم هذه الحرية في صناعته ونظمه ، هذه هي الحقيقة التي فتحت لعبد القاهر الطريق ليضع الأصول العامة لهذا الفن على أساس تلك الوجوه النحوية))[٢٦].

ولعل هذه الإمكانات النحوية بعد أن كانت متشعبة اتفقت رؤاها عند عبد القاهر في بودقةٍ واحدة ، ألا وهي معاني النحو ، ولعل ما تميز به منهجه النحوي ويجعل فهمه تطويرا لإشارات سابقيه هو تفرده في ((التحليل للأساليب والتمييز بين تعبير وآخر إذا حدث فيه تقديم وتأخير. وقد عالج عبد القاهر موضوعات النحو بهذا الأسلوب وكثيرا ما ينساق وراء ذوقه فيقف

---

[٢٥] المصدر نفسه : ٥٨.

[٢٦] نظرية العلاقات أو النظم بين عبد القاهر والنقد الغربي الحديث : ٥٩.

أمام النص مبهورا يتعجب من روعته ويحاول أن ينقل إعجابه إلى الآخرين))[٢٧].

وبتحديد هذا الهدف الذي ملكَ كل أفكار عبد القاهر يجب معرفة آلية عمل معاني النحو بوصفها قائمة على البحث في الفروق والوجوه النحوية ((فالنظر في الفروق والوجوه بين هذه الأبواب المختلفة ليس بحثا في النحو من حيث هو علم الإعراب ، أو من حيث هو جملة من القواعد ينبغي على الدارس حفظها والإلمام بها ، وإنما هو البحث في معاني العبارات ، وفي إدراك الفروق الدقيقة التي تكون بين استخدام لغوي وآخر[...] في كيفية صياغة الجملة))[٢٨]

إنَّ البحث في معاني النحو هو بحث في معاني العبارات ، ويبدو أنَّ تفصيل هذا الأمر وشرحه يعد الجديد الذي أضافه عبد القاهر إلى النحو ورسخه قواعد يصار إليها عند نقد النصوص الأدبية وبيان صياغتها الشكلية ، فضلا عن ذلك تشكل (معاني النحو) عند عبد القاهر ، من أهم أسس منهجه وأخطرها ، وأغمضها في أذهان معاصريه ومن تلاهم والمحدثين على سواء ، كما لا يفوت عبد القاهر بيان أن النحو يتكون من أشكال تحدد المعاني الخاصة بالبنية ، وقد بيَّن أن من طرائق تشكل النص هو إمكانيات التأليف بطرق التعليق ، ومكونات الجملة والعبارة وطرق ربطها[٢٩].

---

[٢٧] عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده : ٦١-٦٢.

[٢٨] قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث :٢٤٣.

[٢٩] ينظر : عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتنُّ في العربية ونحوها :١٦٠-١٦١.

وقد تنوعت منافع النحو مع عبد القاهر فلم تعد تقتصر على تصويب الخطأ بل أصبح علما يفاد منه في تأدية الكثير من المهام ، ولا ريب أنّه عماد كل نص فمن فوائده التي عدها الباحثون ، أنّه ((يفتح الألفاظ المغلقة على معانيها ، وهو المعيار الذي يُعرف به فضل كلام على كلام ، وهو مقياس الصحة من السقامة في الفكر ، كذلك فإنّ معرفتنا قواعد لغة من اللغات تختلف عن قدرتنا على إدراك الدقائق والإسرار والخصائص التي ينفرد بها معنى عن آخر))[٣٠].

ومعاني النحو لا تنهض بهذه الإمكانات من علم النحو بل لابد من تآزر علم البلاغة معه وامتزج أبوابهما ((مزجا يجعلنا ندرك أن البحث في معاني العبارات وفي إدراك الفروق الدقيقة التي توجد في استعمال لغوي ، أو في آخر ، وفي الفروق التي تكون بين معنى ومعنى آخر))[٣١].

ويعرج المعاصرون إلى أنّ من بوادر تفصيلاته (معاني النحو) هو شرحه أغلبَ أبوابها إذ ((الموضوعات التي عالجها بأسلوب العالم الأديب هي: التقديم والتأخير والحذف ، والتعريف والتنكير ، والفصل والوصل ، والقصر والاختصاص وما يتعلق بها ، ويختلف منهجه عن منهج النحاة في بحثها ، كما يختلف في فهمه وتفسيره لها الأساليب اختلافا كبيرا ، فقد أعطى هذه الموضوعات حياة فقدتها على يد الذين قللوا من قيمة الإعراب وزهدوا فيه أو نظروا إليه نظرة ضيقة تنحصر في الإعراب والبناء))[٣٢] وهذه الموضوعات

---

[٣٠] الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا : ٣٠

[٣١] المصدر نفسه : ٣٢

[٣٢] عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده : ...

كانت موجودة لكن غلبة النظرة المنطقية على تعاملاتها افقدها روحها ، وما يحسب له هو نظرته الجديدة الى هذه الأساليب كونها مفاتيح نصية تدخل في تشكيل النصوص وإنتاجها.

والنظرة المعاصرة إلى توجهات عبد القاهر في الإمكانات النحوية ، تتجه نحو الاعتراف أنها ((يمكن تبيُّن عدة ملامح تجعل مفهوم النَّظم الجرجاني صالحا لإدراك الحقيقة الجمالية في الصّياغة الأدبية؛ ذلك أن معظم الإمكانات النحوية ذات طبيعة اختيارية ، تهيئ للمبدع – بشكل أو بآخر – أن يقدم المعنى بطرائق مختلفة في الوضوح والخفاء ، والزّيادة والنُّقصان ، وهي أمور تتجسّد على مستوى الصّياغة الخارجية بمجموعة من الحركات: الأفقية كالتقديم والتأخير ، والرأسية كالحذف والذكر ، والموضعية كالتعريف والتنكير؛ ولهذا كانت الإمكانات النحوية مُهيئة لكثير من الدلالات ، وان رجعت في الأصل إلى (الكلام النفسي)))[٣٣].

الاتجاه الثاني/ مساحة اشتغال الإمكانات النحوية :

ذهب المعاصرون إلى أن استثمار عبد القاهر الطاقات النحوية وتحركه في مساحة خصبة تتدرج في ((آثر الرجلُ توجيه دراسته إلى ما بين المفردات من عَلاقات ، بوصفها مجسّدة للنشاط العقلي ومصوّرة له . وهذه العلاقات – بدورها – ليست إلا إمكانات النحو واحتمالاته داخل التراكيب ، فهي التي تعطي الصيّاغة ملامحها الفنية في الشعر أو النثر ، كما أنها هي التي تخلّصها من الفوضى (الجمع) وعفوية التعبير ، وقد أطلق عبد

---

[٣٣] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ٧٣٠

القاهر على هذا المفهوم كلمة دقيقة هي (النظم)))[٣٤]؛ فالإمكانات النحوية هي التي تعطي النصوص الأدبية بكل أجناسها من (الشعر والنثر) أبعادهما الفنية وذلك من خلال الصياغة .

أقرّ عبد القاهر – باستثماره إمكانات النحو حقيقية تورثه على الزاهدين في النحو ، ممن درسوا الشعر وتعرضوا للبيان العربي ، فإنَّ اللغة بفعل هذه الإمكانات النحوية تكون قوى فاعلة في أعماق اللغة وحركة من الإنتاج مستمرة ، ومن هذا التصور يمكن القول إنَّ بيان صحة الكلام وسلامته من الخطأ ، ناحية شكلية ، إذا قيست بما تقدمه اللغة إلى قارئها أو سامعها من دلالات وفاعليات إذا خرجت من يد صانع متمرس[٣٥].

ولم تكن استثمارات عبد القاهر هذه تنظر إلى ((أنَّ الكلام الملفوظ لم يكن يهمه في حدّ ذاته ، فإنه الشيء الوحيد الذي يقبل الملاحظة))[٣٦] ، هذا وأنَّ نظرته النحوية تتسع وتتميز عن رؤية القدماء إذ يقدم تفسيرا للكثير من البنى الأسلوبية بحيث يكون((وسيلة الشاعر الفنان لإبراز الصور الذهنية والمعاني التي تألف داخل السياق))[٣٧]

وعناية عبد القاهر بالشعر واهتمامه ودفاعه عنها تؤكد أنَّ اللغة عنده أوثق اتصالا بالمنطق ، وأنَّ النحو عنده أكثر ارتباطا بعلم المعاني والبلاغة

---

[٣٤] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني : ٥٩.

[٣٥] ينظر : المصدر نفسه ٢٤١.

[٣٦] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني : ٥٩.

[٣٧] النظرية السياقية للاستعارة وتمثلاتها في كتابات عبد القاهر الجرجاني (بحث) : الدكتور يوسف أبو العدوس ، ضمن وقائع ندوة عبد القاهر الجرجاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس تونس ١٩٩٨ : ١٢١

منه بالقواعد الجامدة التي لا تسمح بأي دور دلالي ثانوي[٣٨] ، لكن يبقى التساؤل محط أنظار النقاد والدارسين أي منطق هذا الذي يرتبط باللغة عند عبد القاهر إذ ((تستعمل هنا كلمة (منطق) بمعنى التفكير العقلي الاستدلالي دون تخصيص))[٣٩] هذا هو تصور الدكتور محمد عابد الجابري الجابري في مُنجز سيبويه الذي اتجه عنده الدرس النحوي العربي اتجاها يتداخل فيه المنطق باللغة[٤٠].

إنَّ جوهر نظرة عبد القاهر تدخل في حيز الخواص التركيبية لاي لغة ، وعلى هذا ، فـ((النحو علم يكشف عن المعاني التي هي ألوان نفسية ، ندركها من وجوه استعمال الكلام ، ومن الفروق التي تبدو بين استعمال وآخر من خلال ارتباط بعضها ببعض))[٤١].

كما يمكن الإشارة إلى ما يحدثه من علاقات مطردة بين الألفاظ داخل اللغة ، حتى تقدم وصفا لهذه العلاقات إذ ((بحيث تجتمع لتشكل نسيجا حيا من المشاعر الإنسانية والصور الذهنية والأحاسيس الوجدانية))[٤٢].

وبذلك يقرر النقد المعاصر ، أن طبيعة العلاقة بين النحو والبنى النصية الأدبية قائمة على التواشج والتوافق ، ولا سيما أنَّ الغرض الأساسي

---

[٣٨] ينظر : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث٢٣٨.

[٣٩] هامش كتاب (بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية) : ٤٨

[٤٠] ينظر : بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية : ٤٨.

[٤١] النظرية السياقية للاستعارة وتمثلاتها في كتابات عبد القاهر الجرجاني (بحث) : ١٢١.

[٤٢] المصدر نفسه : ١٢١.

من هذا الترابط للحصول على معانٍ ذات اثر نفسي على المتلقي على هذا النحو يكون من المعقول القول ((إنَّ النحو عند عبد القاهر الجرجاني ليس إذن بمسألة هامشية ولا هو بالدخيل المتطفل على الدراسة الأدبية ، فهو عمادها ، وهو مصدر عملية الصياغة الأدبية نفسها من حيث إنه لحمة التضافر الأدبي وسدى الصورة الفنية والقطب الذي يدور عليه الخلق والإبداع ، وإذا كان النظم استغلالا لإمكانات النحو معاني ووجوها وقوانين وأصولا ومناهج ورسوما ، وأحكاما وفروقا وكانت هذه الإمكانات "كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ، ونهاية لا تحد لها ازديادا بعدها"[٤٣] أمكننا أن نتبين ما يتسم به النظم من طابع خلاق ، فهو – مثله مثل النحو – ذو طاقات إبداعية لا حصر لها ، فالنظم في حقيقة أمر نُظم متنوعة متجددة يكون فيها باب خلق التراكيب والأساليب وابتكارها مفتوحا أبدا))[٤٤].

وبهذا يتضح جليا أنَّ إقامة عماد المستوى الثاني (النحو الوظيفي) من النحو العربي ، منفصلا عن المستوى الأول (النحو المعياري)؛ لأن مساحة الاشتغال للمستويين تكاملية لا ينفك احدهما عن الآخر: لكنهما يختلفان في الدلالة على المعنى والأثر الذي ينتظمه المعنى في نفس السامع "المتلقي" ، والغرض الأهم من هذا كله هو تأسيس قاعدة نقدية تستطيع التمييز بين كل النصوص الأدبية بغض النظر عن الجنس .

---

[٤٣] دلائل الإعجاز : ٥٢٥

[٤٤] النظرية السياقيّة للاستعارة وتمثّلاتها في كتابات عبد القاهر الجرجاني (بحث) : ١٧.

الخاتمة :

١- أثبتت الدراسات المعاصرة أن جهود عبد القاهر النحوية ، كانت تجري باتجاه توضيح أنَّ النحو العربي ليس قواعد منطقية جامدة ، بل علاقات نظمية مرنة ، تسهم بشكل فاعل في إنتاج النصوص الإبداعية العالية الجودة.

٢- أثبتت الدراسات اللغوية المعاصرة ، أن تنظيرات عبد القاهر النحوية تصب في إطار مساهمة هذا العلم في الكشف عن الجوانب الإبداعية للنص الأدبي ، وذلك من خلال الكشف عن آليات تشكيل النصوص الأدبية .

٣- أثبتت الدراسات المعاصرة أن جهود عبد القاهر النحوية ، كانت من قبيل النظرة التوسعية للنحو ، بمعنى أن معالجاته لهذا الجانب قد تجاوزت الكثير من المسلمات التي قال بها من سبقه من العلماء في هذا الجانب ، إذ ربط البلاغة بالنحو .

٤- أكدت جهود عبد القاهر استثمار الإمكانات النحوية في تقييم الإعمال الإبداعية ، وفي الحكم على درجة جودتها.

المصادر والمراجع

أولا: الكتب

- بحوث بلاغية : الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب ، دار الفكر للنشر والتوزيع . ط١ ، ١٩٨٧م
- بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، الدكتور محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٦ ، بيروت ، ٢٠٠٠م.
- دلائل الإعجاز ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق ، محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا ، الدكتور أحمد علي دهمان ، منشورات وزارة الثقافة- سوريا ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٠م.
- عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتنُّ في العربية ونحوها ، الدكتور البدراوي زهران ، دار العالم العربي ، ط١ ، ٢٠٠٩م.
- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ، الدكتور أحمد مطلوب ، وكالة المطبوعات - الكويت ، ط١ ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، الدكتور محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان ، ط١ ، ١٩٩٥م.
- المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية ، الدكتور عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة ، الكويت (لا.ط) ١٤٢٣هـ-٢٠٠١م.

- معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني ، محمد بركات أبو حمدي ، دار الفكر – عمان– المملكة الأردنية ، ط١ ، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٤م.
- نظرية العلاقات أو النظم بين عبد القاهر والنقد الغربي الحديث ، الدكتور محمد أحمد نايل ، دار المنار ،١٤٠٩هـ-١٩٨٩م
- نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية (النحوية البلاغية) والبنيوية الوظيفية في النقد الأدبي.

ثانيا: البحوث والدراسات :

- معاني النحو ومعاني البلاغة في كتب عبد القاهر الجرجاني(بحث): احمد الجوة : ضمن وقائع ندوة عبد القاهر الجرجاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية : جامعة صفاقس ، تونس ، ١٩٩٨م.
- النحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني(بحث). محمد عمر الصماري ، ضمن وقائع ندوة عبد القاهر الجرجاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس تونس١٩٩٨م.
- النظرية السياقيّة للاستعارة وتمثّلاتها في كتابات عبد القاهر الجرجاني (بحث) : الدكتور يوسف أبو العدوس ، ضمن وقائع ندوة عبد القاهر الجرجاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس تونس ١٩٩٨.